المطلب الثامن

مؤشر حرية الصحافة ٢٠٠٤(*)

Press Freedom Index 2004

تمهيد:

ربما يعجب البعض من إدخالنا لهذا المؤشر ضمن المؤشرات الاقتصادية الصرفة السالف عرضها! ولكن لم يعد هناك مجال للعجب حيث لم يعد بالإمكان فصل السياسة عن الاقتصاد أو الاقتصاد عن الصحافة بعد أن أصبح هناك علم بيني يسمى باقتصاديات الصحافة والإعلام والسياسة، ولهذا بدأنا العرض بمؤشر الحريات السياسية والمدنية.

فلا يمكن أن نتصور أداءً اقتصادياً متميزاً في مجتمع تكبت فيه الأصوات وتقصف فيه الأقلام. فالحرية ليست فقط حرية اقتصادية بل هي بالأولى حرية تعبير، وفي مناخ كهذا ينمو الشعور بالانتماء ويكون هناك رقيب لكشف صور الفساد والإهدار للمال العام.

للأسباب السابقة أدخلنا المؤشر العالمي لحرية الصحافة والذي يصدر عن منظمة مراسلون بلا حدود لأول مرة هذا العام على الرغم من أنه يصدر منذ عام ٢٠٠٢, فقط كنا ننتظر تجميع البيانات التي تمكننا من تحليل هذا المؤشر ومن تحليل أدائنا المصري والعربي فيه.

فهذا المؤشر هو الأخر له صوت مسموع، تعول عليه الكثير من المؤسسات

---

(١) ملحق (٨) مؤشر حرية الصحافة.

والهيئات وصناع القرار الدوليين لذا وجب التعرف على وضعنا فيه حتى نتمكن من التعرف على نقاط القوة والضعف لنحسن من صورتنا فيه في إصداراته اللاحقة.

سيكون عرضنا لهذا المؤشر على نفس نمط عرضنا للمؤشرات السابقة بالعرض للتعريف بمؤشر حرية الصحافة والجهة المصدرة. ومحددات أو عناصر القياس، ثم للصورة العالمية، وبعد ذلك نختتم بالعرض لوضع مصر والدول العربية في هذا المؤشر على مدى السنوات الثلاث المنقضية، ثم نختتم بالعرض لعدد من المقترحات من وحى ما خلصنا إليه من تحليل المؤشر.

(١) تعريف بالمؤشر بالجهة المصدرة:

يصدر مؤشر حرية الصحافة للعام الثالث على التوالي عن منظمة مراسلون بلا حدود وهي منظمة غير حكومية لها ٩ مقار أساسية كلها في الدول الأوربية المتقدمة وأمريكا وعدد من المكاتب في أسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية وأكثر من ١٣٠ مراسل حول العالم.

هذه المنظمة معنية على وجه الخصوص بحرية الصحافة ومعاملة الصحفيين والمؤسسات الإعلامية والصحفية في العالم، وكذلك الجهود المبذولة من قبل الدول نحو حماية حرية الصحافة والصحفيين. كما أن لها الحق في إبلاغ العامة وتلقي البلاغات وفقاً للمادة ١٩ من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان.

يدرس المؤشر أوضاع حرية الصحافة خلال عام يبدأ مع الأول من سبتمبر وينتهي مع نهاية أكتوبر من كل عام. هناك ملاحظة هامة وهي أن

المؤشر أو المنظمة غير مختصة أو معنية بمسائل الاعتداءات على حقوق الإنسان كالتعذيب في السجون فيما عدا ما يتصل منها بحرية الصحافة.

(٢) محددات قياس حرية الصحافة:

يقيس مؤشر حرية الصحافة مقدار الحرية المسموح بها للصحفيين وللمؤسسات الإعلامية في كل دولة والجهود التي تبذلها الحكومات في هذا الخصوص.

تقوم منظمة مراسلون بلا حدود بإرسال استبيان مبني على عدة معايير أو محددات بلغت هذا العام عدد ٥٢ معيار. بعضها يتعلق باعتداءات مباشرة على الصحفيين كالقتل أو السجن أو العدوان البدني أو التهديد به. تتعلق بعض الأسئلة بالمؤسسات الإعلامية كالإغلاق والمصادرة أو المراقبة أو الضغط. كما تتعلق بعض التساؤلات بالإعفاءات التي تمنح للمسئولين عن الاعتداءات.

يسجل الاستبيان البيئة القانونية لوسائل الإعلام مثل العقاب على جرائم النشر، احتكار الدولة، وسلوك الحكومة تجاه الإعلام العام والصحافة الأجنبية. تبحث المنظمة أيضاً مسألة وجود قيود على التدفق الحر للمعلومات عبر الإنترنت. تضع المنظمة في اعتبارها ليس فقط العدوان من قبل الدولة ولكن من قبل جماعات الضغط والمنظمات الإجرامية التي تستخدم للاعتداء على الصحفيين.

يتم إرسال الاستبيان إلى أشخاص ذوي معرفة حقيقية بأوضاع حرية الصحافة مثل الصحفيين المحليين والمراسلين الأجانب المقيمين في الدولة والباحثين والخبراء القانونيين، والباحثين في السكرتارية العامة لمنظمة مراسلين

بلا حدود. يتم تحليل الاستبيانات من خلال الاستعانة بمعهد الإحصاء بجامعة باريس/ فرنسا.

وتتراوح نقاط المؤشر بين الصفر و الـ ١٠٨,٠ فالدول الأقرب إلى الصفر هي الدول الأفضل أداءً والعكس صحيح، فالدول التي تسجل ١٠٧ مثلاً تحتل مؤخرة المؤشر. فنقاط الدنمرك المسجلة هذا العام مثلاً ٠,٥٠ كأول دولة في العالم من حيث احترام حرية الصحافة، في حين أن نقاط دولة ككوريا الشمالية ١٠٧,٥٠ محتلة المرتبة ألأخيرة في المؤشر.

(٣) الصورة العامة لأداء دول العالم في المؤشر:

- ربما يتصور البعض أن مسائل حرية الصحافة والصحفيين محل انتهاك فقط في الدول النامية والمتخلفة. ولكن وكما يفصح المؤشر، فدولة كبنين تتمتع بمستوى حرية صحافة أعلى بكثير من دولة متقدمة كإيطاليا. كما أن الصحافة في دولة كالبوسنة والهرسك تنعم بمستوى حرية صحافة تتفوق به على أكبر وأغنى دول العالم وهي أمريكا!!
- فالصحافة ووسائل الإعلام المختلفة في الولايات المتحدة تخضع في كثير من الأحيان لضغوط جماعات الضغط وعصابات الجريمة المنظمة، بل والدولة، خاصة بعد أحداث ١١ سبتمبر. ومن ثم فلا نعجب أن نرى الولايات المتحدة في المرتبة ٢٢ على مستوى العالم.
- بالنظر إلى الدول الأفضل أداءً في مؤشر حرية الصحافة نلاحظ أنها تقريباً ذات الدول التي احتلت مقدمة المؤشرات الأخرى التي تضمنها هذا المؤلف. فالدنمرك وفنلندا وأيسلندا وأيرلندا وهولندا والنرويج وسويسرا هي أفضل دول العالم من حيث حرية الصحافة.فقد حافظت تلك الدول على تقدمها

على مدى سنوات المؤشر الثلاث. وإن كانت أيرلندا هي الأفضل أداءً بعد أن صعدت من المرتبة ١٨ عام ٢٠٠٣ إلى المرتبة رقم ١ هذا العام.

- لوحظ احتلال دول صاعدة لم تكن في الصورة حتى سنوات قليلة لمرتب متقدمة للغاية مثل سلوفاكيا التي تشارك في المرتبة الأولى ولاتفيا واستونيا اللتان تحتلان المرتبتين ١٠ و١١ متقدمين بكثير على كل من ألمانيا وفرنسا والولايات المتحدة.
- لوحظ دخول دول أفريقية في مقدمة المؤشر مثل جمهورية جنوب أفريقيا التي تحتل المرتبة ٢٦ وبنين التي تحتل المرتبة ٢٧ متقدمين على المملكة المتحدة وإيطاليا وأسبانيا واستراليا ....الخ.
- أما إذا نظرنا إلى مؤخرة المؤشر فسنجد أنه على مدى سنوات المؤشر الثلاث لم تتغير الصورة في المؤخرة، فلا تزال كوريا الجنوبية تحتل مؤخرة المؤشر ومعها كوبا وتركمنستان وإريتريا وبورما والصين ونيبال والسعودية وإيران.

(٤) تريب وأداء مصر في مؤشر حرية الصحافة على مدى سنواته الثلاث:

هناك ملاحظة مبدئية تجدر الإضارة إليها وهي أن أوضاع الصحافة في مصر على مدى العشر سنوات الماضية قد شهدت تحسناً مقارنة بالحقب السابقة. ولكن ماذا عن وضع الصحافة الإعلام المصري على مدى السنوات الثلاث التي شملها المؤشر. هل كان التطور للأفضل أم العكس؟

- كما يفصح الجدول (٢١) ببياناته، تبين تراجع ترتيب مصر على مدى سنوات المؤشر الثلاث. فبعد أن كانت مصر في المرتبة ١٠١ عام ٢٠٠٢ تراجعت إلى المرتبة ١١٠ عام ٢٠٠٣ ثم المزيد من التراجع هذا العام بعد أن هبطت إلى المرتبة ١٢٨ أي تراجع ١٨ رتبة.

- وبالنظر إلى النقاط المسجلة، فبعد أن كانت قد شهدت تحسناً طفيفاً للغاية في عدد النقاط عام ٢٠٠٣ مقارنة بعام ٢٠٠٢ عادت وشهدت تراجعاً كبيراً في النقاط حيث زادت العلامات المسجلة من ٣٤,٢٥ عام ٢٠٠٣ إلى ٤٣,٥٠ هذا العام وهو ما يعني تراجع مصر في العلامات بأكثر من ١٠.

جدول (٢١) ترتيب ونقاط كل من مصر وإسرائيل في مؤشر حرية الصحافة على مدى سنوات إصداره

الدولة	١٩٩٩		٢٠٠٣		٢٠٠٤	
	ت	ن	ت	ن	ت	ن
مصر	١٠١	٣٤,٥٠	١١٠	٣٤,٢٥	١٢٨	٤٣,٥٠
إسرائيل (داخل حدود إسرائيل)	٩٢	٣٠	٤٤	٨	٣٦	٨
إسرائيل (بالأراضي المحتلة)	-	-	١٤٦	٤٩,٠٠	١١٥	٣٧,٥٠

المصدر: جمعه المؤلف من مؤشرات حرية الصحافة ٢٠٠٢ و ٢٠٠٣و٢٠٠٤.

- وبعد حادث الاعتداء على رئيس تحرير إحدى صحف المعارضة[١] الذي اختطف وجرد من ملابسه وضرب ضرباً مبرحاً وترك في العراء وتم تهديده بمزيد من العدوان عليه وعلى أفراد أسرته، يتوقع المؤلف مزيد من التراجع في ترتيب ونقاط مصر في مؤشر ٢٠٠٥ مالم يضبط ويحاكم المحرضين والمعتدين، خاصة وأن الصحفي المعتدى عليه مشهور بمواقفه الصريحة المعادية للحكومة ونظام الحكم القائم.

(١) تعرض رئيس تحرير جريدة العربي الناصري لعدوان من قبل مجهولين هددوه وطالبوه بعدم التطرق إلى أوضاع نظام الحكم، وكان خلال شهر نوفمبر ٢٠٠٤.

- هناك صحف تم إغلاقها ومنع صدورها وذلك على الرغم من صدور العديد من الأحكام القضائية النهائية الملزمة بوجوب إعادة إصدارها مع كفالة الحرية للعاملين بها، ومع هذا لم توضع تلك الأحكام موضع التنفيذ، أي لم تحترم من قبل الجهات التنفيذية. كل هذا يصب في اتجاه المزيد من التراجع في ترتيب مصر في هذا المؤشر، مع كل ما يترتب على ذلك من آثار سياسية واقتصادية واجتماعية.
- وبالمقارنة بالنسبة لإسرائيل، فقد ميز واضعي المؤشر بين أوضاع حرية الصحافة والصحفيين داخل الدولة العبرية والممارسات الإسرائيلية تجاه الصحافة والصحفيين في الأراضي الفلسطينية المحتلة.
- حرية الصحافة داخل الدولة العبرية داخل الحدود العبرية شبه مكفولة فترتيب إسرائيل ونقاطها في تحسن مستمر كما يوضح الجدول أعلاه فبعد أن كانت الدولة رقم ٩٢ عام ٢٠٠٢ أصبحت في المرتبة ٣٦ هذا العام.
- الوضع مختلف تماماً بالنسبة لإسرائيل في معاملتها للصحفيين داخل الأراضي الفلسطينية المحتلة. فإسرائيل تحتل مرتبة متدنية للغاية إذ هي الدولة رقم ١١٥ هذا العام، وذلك بسبب الانتهاكات الصارخة من قبل الحكومة الإسرائيلية والجنود الإسرائيليين للصحفيين العرب والأجانب الذين يتابعون وينقلون صورة حقيقية للوجه الصهيوني على الأراضي الفلسطينية.
- وبمقارنة وضع مصر بإسرائيل في شأن حرية الصحافة نلاحظ أن إسرائيل، كشأن باقي المؤشرات، تتبوأ مكاناً أفضل من مصر. فإسرائيل هذا العام تسبق مصر بما يقرب من ١٠٠ رتبة، وهو ما يعكس صورة غير طيبة لأوضاع حرية الصحافة في مصر على الأقل من منظور واضعي المؤشر مقارنة بالدولة العبرية.

(٥) ترتيب وأداء الدول العربية في مؤشر حرية الصحافة على مدى سنوات إصداره.

- لوحظ تمثيل عدد ١٩ دولة عربية في المؤشر خاصة خلال العامين الأخيرين ٢٠٠٣ و ٢٠٠٤، بالإطلاع على الجدول (٢٢) ومن خلال مقارنة أداء الدول العربية الـ ١٩ في العامين الأخيرين تبين لنا الآتي:
- الملاحظة العامة هي أن من بين دول العالم الـ ١٦٧ التي شملها المؤشر لم تدخل أي من الدول العربية الـ ١٩ ضمن الـ ١٠٠ دولة الأولى باستثناء لبنان التي احتلت المرتبة ٨٧ هذا العام. فعلى سبيل المثال، احتلت ١٥ دولة عربية من الدول العربية الـ ١٩ المراتب من ١٢٥ إلى ١٦٠،
- ما أسواء الدول العربية أداءً في مجال حرية الصحافة فكانت السعودية باحتلالها المرتبة ١٥٩ من إجمالي ١٦٧ دولة تلتها سوريا ثم ليبيا وتونس.
- أفضل الدول العربية تمثيلاً في مؤشر هذا العام هما لبنان والكويت على الرغم من تراجع الكويت من المرتبة ١٠٢ إلى المرتبة ١٠٣ خلال العامين ٢٠٠٣ و٢٠٠٤.

جدول (٢٢) ترتيب الدول العربية في مؤشر حرية الصحافة من ٢٠٠٢ وحتى ٢٠٠٤

الدولة	مؤشر ٢٠٠٢		مؤشر ٢٠٠٣		مؤشر ٢٠٠٤	
	ت	ن	ت	ن	ت	ن
مصر	١٠١		١١٢		١٢٨	٤٣,٥٠
السودان	٩٢		٤٤		٣٧	٨
قطر	–		١١٥		١٠٥	٣٢,٥٠
البحرين	٦٧		١١٧		١٤٣	٥٢,٥٠
السعودية	١٢٥		١٥٦		١٥٩	٧٩,١٧
الإمارات	–		١٢٢		١٣٧	٥٠,٢٥
الأردن	٩٩		١٢٣		١٢١	٣٩,١٣
تونس	١٢٨		١٤٩		١٥٢	٦٢,٦٧
ليبيا	١٢٩		١٥٣		١٥٤	٦٥
المغرب	٨٩		١٣١		١٢٦	٤٣,٠٠
السودان	١٠٥		١٤٢		١٣٢	٤٤,٢٥
لبنان	٥٦		١٠٦		٨٧	٢٤,٣٨
سوريا	١٢٦		١٥٥		١٥٥	٦٧,٥٠
الكويت	٧٨		١٠٢		١٠٣	٣١,٦٧
اليمن	١٠٣		١٣٦		١٣٥	٤٨,٠٠
فلسطين	٨٢		١٣٠		١٢٧	٤٣,١٧
الجزائر	٩٥		١٠٨		١٢٨	٤٣,٥٠
الصومال	–		١٤٠		١٢٨	٤٣,٥٠
جيبوتي	٩٦		١٢٠		١٤٥	٥٥
موريتانيا	–		١٢١		١٣٨	٥١,٠٠

المصدر: جمعه المؤلف من مؤشرات حرية الصحافة على مدى سنوات إصداره الثلاث.

- كما لوحظ وعلى مدار سنوات المؤشر الثلاث احتلال أغلب الدول العربية مؤخرة المؤشر لتدني أوضاع حرية الصحافة فيها.
- أن من بين الدول العربية الممثلة تراجع ترتيب ١٠ دول أي أغلب الدول العربية الممثلة، في حين تحسن ترتيب ٨ دول ولم يتغير ترتيب دولة واحدة وهي سوريا التي احتلت المرتبة ١٥٥ في مؤشري ٢٠٠٣ و ٢٠٠٤.
- لوحظ أن أكثر الدول العربية تراجعاً كانت البحرين (بأكثر من ٢٠ مرتبة) ومصر (تراجعت ١٦ رتبة) وجيبوتي وموريتانيا والجزائر التي تراجعت بـ ٢٠ رتبة هي الأخرى.
- أما اقل الدول العربية تراجعاً في ترتيبها العام في ٢٠٠٤ مقارنة بـ ٢٠٠٣ فكانت ليبيا وتونس والسعودية والكويت، وذلك - على حد تعبير واضعي المؤشر - لغياب الصحافة الخاصة والمستقلة عن التأثير الحكومي.
- أما أفضل الدول العربية أداءً بين الدول الـ ٨ التي تحسن ترتيبها فكانت لبنان (التي تحسن ترتيبها بـ ٣٠ رتبة تقريباً) وقطر والسودان اللتان تحسن ترتيبهما بـ ١٠ بعشر مراتب.

(٦) خلاصة ومقترحات:

الصحافة كمهنة تهدف إلى الارتقاء بالمتلقي وهو الإنسان الذي هو هدف وأداة التنمية. كما يفترض في الصحافة، والتي اعتبرت السلطة الرابعة بعد السلطات الثلاث (التنفيذية والتشريعية والقضائية) في التعديل الدستوري ١٩٨٠ في مصر، أن تكون أداة المجتمع في التوجه نحو المزيد من الشفافية، ومن ثم المزيد من الإصلاح السياسي والاقتصادي.

لاحظنا من خلال هذا العرض التمثيل غير المشرف لكل الدول العربية في

مؤشر حرية الصحافة. فكل الدول العربية تقريباً باستثناء لبنان تمارس ضغوطاً وقيوداً على الصحافة والعاملين بها، وهو ما يعوق هذا الجهاز عن القيام بدور خلاق يساهم في الانتقال بتلك الدول إلى عداد الدول الناهضة. ولهذا احتلت الدول العربية مراتب متدنية للغاية في هذا المؤشر المسموع كما عرضنا.

وتأكيد لقولنا «التمثيل غير المشرف» فقد أكد واضعي مؤشر حرية الصحافة لهذا العام على أن كل من الشرق الأوسط وشرق آسيا لديهما أسوأ سجل في مجال حرية الصحافة على مستوى العالم.

لابد من حث الأفراد وأصحاب الرأي على إنشاء الصحافة الخاصة والمستقلة التي يمكنها التعبير عن آرائها بحرية، وإلا ستظل الصحافة في الدول العربية أداة لتكريس التخلف. فما تقدمه الصحف من معارف يفترض فيها الأخذ بيد الوطن والمواطن خطوة وخطوات إلى الأمام، ولا يمكن لهذا أن يتحقق في ظل صحافة تتحرك في إطار محدد مسبقاً، وفي إطار خطوط حمراء لايمكن تخطيها.

طالما أن العمل الصحفي يتم في إطار قواعد القانون ويحترم القيم الثابتة والدستور فلا غبار عليه، فكثيراً ما عولجت الكثير من قضايا الفساد المؤسسي بعد أن كشفت عنها وفضحتها الصحافة.

إلا أن الصحافة في بلداننا العربية سواء الرسمية الحكومية أو المعارضة أو الخاصة لا تزال بعيدة عن الدور المنوط بها، ربما بسبب سنوات القمع الطويلة، فهي بحاجة إلى الارتقاء بما تقدمه من خدمة للوطن حيث الفكر المستنير والتحقيق المدروس القائم على أدلة دامغة تدحض أي نقد.

وعلى الأنظمة العربية إعطاء الصحافة والصحفيين الفرصة للتجريب خلال فترة انتقالية بعدها يشتد عود هذا الجهاز العظيم ليتولى دوره الغائب في تلك المنطقة.

لاحظنا أن هذا المؤشر من أحدث المؤشرات العالمية، وعلينا ان نتوقع المزيد من تلك المؤشرات خلال الأعوام القادمة، وعلى الأنظمة العربية إدراك وتفهم هذا التطور، وإلا ستزداد انكشافاً ومن ثم تصبح أكثر عرضة لسهام النقد وبرامج الإصلاح المفروضة من الخارج. فالأفضل أن تكون بيدي لابيدي عمر. لأننا لو تركناه ليكون بيدي عمر لترك الكثير من الضحايا شأن ما يجري الآن على أرض النهرين (العراق).